تفريغ محاضرة

حين تظمأ الروح

رواء الاثنين | د. هند القحطاني

٢٤ / ١ / ١٤٤١ هـ

من نحن؟

نحن مجموعةٌ نهلنا من معين دروس د. هند بنت حسن القحطاني، التي هطلت بروائها على قلوب السامعين، ولما شهدنا ذلك الهطل غيثا مُغيثا مريئا، عملنا بكلّ جدٍ وحُبٍ على جمع المحتوى وتنظيمهِ ونشرهِ ليسيلَ عَذبًا إلى قلوبكم

نسعدُ بملاحظاتكم واستفساراتكم على البريد الإلكتروني:

info@rawaa.org

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هاديَ له

وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله

أما بعد:

فحديثنا اليوم حول سؤال إحدى الفتيات في آخر الدرس الماضي، كنت اسألها فأقول لها: شلونك؟ كيفك؟، فقالت: الحمد لله طيبة، ثم ابتسمت ابتسامة خفيفة وقالت لي: أعني الحمد لله لكن لا أعرف أمرٌّ بحالة غريبة،

قلت لها: كيف؟، قالت: هذه الحالة أشعر فيها أني لا أعرف ما القصة!

أبكي طوال الوقت، أشعر أني في كل يوم أريد الاستيقاظ له وكأني لا أريد الاستيقاظ لهذا اليوم من جديد! ولا أريد أن أعيشه،

أشعر أن كل يوم يتكرر كما اليوم الذي قبله الحقيقة مثل هذا الكلام ليس لأول مرة أسمعه، ودائمًا تقابلين أناس أو تلتقين بآخرين عندهم هذه المشكلة التي هي شعوره أنه لا يريد أن يعيش حياته، وأحيانًا يكون مقبول هذا الكلام من شخص بالفعل

يمر بمنعطف حاد في حياته أو بقرار مصيري أو مثلًا عنده عزيز مريض

أو مبتلى فهو الآن يحمل همه، فتشعر أن الحياة تضيق عليه، أو أي منعطف آخر في الحياة.

لكن حديثنا ليس عن هؤلاء، حديثنا بالذات عن أولئك الذين يعيشون في أتمّ صحتهم وفي أتمّ شبابهم وفي أتمّ رفاهيتهم، فلا ينقصهم شيء بل قد يكون الآن يعيش في اللّحظات التي كان ينتظرها منذ أمد، فيكون قد وصل إلى المنصب الذي يريده أو وصل إلى لحظة الفراغ التي كان ينتظرها، انتهى من الماجستير، انتهى من الدراسة، التي كان ينتظر فقط متى تنتهي؟ فلما وصل للشيء الذي أراده فإذا به يصاب بهذا النوع من الكآبة الروحية، المصطلح هذا:

"كآبة الروح" أو "ظمأ الروح"

استعرته من إحداهن في الفيديو الذي انتشر الأسبوع الماضي من إحدى المشهورات، قالت كلمة كانت تبرّر لنفسها باتخاذها لقرارٍ -أيًا كان هذا القرار خاطئ أو لا- بأنها مرّت في سنوات سابقة بشيء لم تكن تعرف سببه، تقول: كنت أشعر بمثل الغمامة من الكآبة تحيط بي!

لاحظوا الوصف: كنت أشعر بمثل الغمامة من الكآبة تُحيط بي!

هذا الكلام تقوله وهي في أوج شهرتها!

وتقول: فقط سأنهي هذه الصفقة وسيتحسن الحال، فقط سأنهي هذه الحملة الإعلانية وبيمشي الحال، بس بيخلص كذا بيكون أحسن.

في النهاية ومع كل هذا لم يكن الوضع يتغير للأحسن، ولم يكن الوضع يسير للأفضل، وكانت تشعر في داخلها بشيء تبحث عنه، ولذلك لاحظ عليها من كان يتابعها -كما قيل لي- أنها خلال السنوات الماضية فعلت الكثير بنفسها، فهي فعلًا تبحث عن شيء،

الآن هي معالجتها لكن هل ما فعلته صحيح أم خاطئ

هذا يحتاج لنقاش كبير نناقشه لاحقًا.

لكن الكلام أن هناك شيء الإنسان يبحث عنه، وهذا الذي يقلق الإنسان،
طبعًا لا يمر بك مرة أو مرتين فقط بل دائمًا يمر عليك، الإنسان ماذا يريد؟! ما الذي يقلق الإنسان؟
ما الشيء الذي في داخلك تحسّينه عطشان، الدنيا لا ترويه أصلًا؟ أم تشعرين أن هؤلاء الناس الذين في أوج شهرتهم و في أوج شبابهم، الذين هم الآن عندهم كل شيء، تقول لك: أنا لست سعيدة، أنا حاسة ماني **عايشة!**
ولا يوجد سبب تستطيعين إمساكه بيدك، إذًا دعونا اليوم نحاول أن نجيب على هذا السؤال.
ونحاول أن نعرف ما الذي من الممكن أن يقلق هذه **الروح**؟

خلق آدم وإبليس:

عن أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيفُ به، ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقا لا يتمالك" (أخرجه مسلم)

النبي عليه الصلاة والسلام يحدّثنا بهذا الحديث فيقول: لما صوّر الله آدم في الجنة,
تركه ما شاء الله أن يتركه، لما أول ما خُلق آدم خلقه الله -عز وجل- بيده وخلقه -كما نعرف- من حميم مسنون من طين, فخلقه الله بيده ثم تركه ما شاء الله أن يتركه جعل فترة، أين تركه؟
في الجنة، فتخيلوا معي الآن شيء أقرب أن يكون تمثال موجود بلا روح، موجود في الجنة،
فجعل إبليس يطيفُ به، فصار إبليس يدور حوله، يدور حوله من أكثر من مكان
ويفحصه ويحاول أن يدخل فيه، يجرّب من داخل،
ويحاول يخرج ويدور حوله، فجعل إبليس يطيفُ به
فينظر ما **هو**؟
ما هذا الشيء الذي خلقه الله- عز وجل-

وقيل في **روايات** أخرى: لئن سلطت عليك لأهلكنّك،
يعني مباشرة ناصب لآدم العداء، وهي ما ابتدأت القصة، فهو ينظر إلى هذا المخلوق ويطيفُ به، أي: يطوف به، فلما رآه أجوف دخل تفحّصه دخل في المداخل، وفي المخارج عرف أن هذا الشيء أجوف، اسمعوا الحديث: فلما رآه أجوف عرف أنه خُلق خلقًا لا يتمالك، عرف أن آدم أجوف مجوّف من الداخل، وفي **رواية** أخرى قال إبليس: ظفرتُ به!
يعني فزت فيه خُلق خلقًا لا يتمالك!

دعونا نقف قليلًا على هذه الكلمتين: أجوف وخُلق خلقًا لا يتمالك ما معناها؟!
ولماذا قال إبليس ظفرتُ به؟ ولماذا حسّ أن فيه نقطة ضعف وأنه يقدر الآن يدخل فيها على هذا الخلق؟!طبعًا إبليس لما جلس يدرس آدم، هو لا يدرس آدم فقط، هو يدرسنا نحن أيضًا من ورائه، فهو يحاول أن يعرف من هذا المخلوق الجديد الذي سيكون موجود، ومن الممكن أن يأخذ مكانه، ولذلك آدم -عليه السلام-أول ما أمر الله - عز وجل-بالسجود له مباشرة إبليس رفض السجود واستكبر كما قال الله -عز وجل-وكان من الكافرين، لأمرٍ يريده الله -عز وجل- ولتبدأ قصة **الخير والشر** من أولها إلى نهاية القصة.

الآن إبليس حينما طاف بآدم فرآه أجوف قال: ظفرتُ به!، لأن الشيء الأجوف ماذا **يحتاج**؟، أي شيء أجوف يحتاج منك تملئينه، يحتاج إلى أن يُملأ بطعام أو شراب، يحتاج أن يملأ بأي نوع من الغذاء، طالما أنه أجوف لابد أن يوضع فيه شيء، ولذلك من معاني اسم الله الصمد:
أنه الذي لا جوف له، أنه الذي تصمد إليه الحوائج، ومن معاني اسم الله الصمد:
الذي لا جوف له، لذلك الله يُطعِم ولا يُطعَم، والله -عز وجل-لم يلد ولم يولد، فكل الحاجات التي يحتاجها الإنسان والمنفية عن الله -عز وجل-يحتاجها هذا الإنسان.
إذًا الله -عز وجل-بلا جوف ولذلك هو مستغنٍ عن خلقه تمامًا
لكن الإنسان محتاج دائمًا لشيءٍ يملأ هذا الجوف.

طيب لماذا قال: ظفرتُ به؟، لأنه طالما يحتاج إلى أمرٍ ما يقوم به، معناه أنه ليس قائم لوحده!، يعني ليس شيء أنا أتعادى معه، هو ليس مخلوق من نار مثله، هو ليس مخلوق ثلجي، ليس مخلوق نوراني، ليس مخلوق من نار يقوم بنفسه، لا، هو يحتاج يأكل ويشرب يحتاج ينام، معناها فيه نقاط ضعف من الممكن أن يدخل منه الشيطان.

ماهية هذا الجوف؟

قال النووي: **"أي أنه لا يتمالك أمام شهوةٍ أو حاجةٍ"،**
فمعناها هو مضطر دائمًا إلى أن يشبع هذا الجوف من الداخل.
دعونا إذًا هنا نقف: هذا الجوف هل هو جوف طيني فقط؟ الغذاء هل هو غذاء لهذا الطين فقط؟ أم نحتاج نوعين من الغذاء؟
آدم -عليه السلام-كان مخلوق من طين فقط، مخلوق من هذا الصلصال، فلم تُخلق فيه الحياة إلا لما نفخ الله -عز وجل-فيه من روحه، **(فنفخنا فيه من روحنا)** سورة التحريم، آية 12.

ولذلك عيسى -عليه السلام-أيضًا كلمة من الله وجبريل فنفخ فيه من روحه،
فإذًا النفخة الروحانية العلوية هذه التي دخلت في آدم -عليه السلام-دخلت فيه وفي خلقه من بعده، فكلنا الآن مخلوقون من هذين الشيئين: جسد من طين أرضي، ونفخة علوية التي هي نفخة سماوية، فعندك شيئان اثنان **متناقضان**، شيء يجرّك للأرض، وشيء يجرّك للسماء، وهذان الشيئان المتناقضان متداخلان فيك، يستوي فيها إن كنت مسلما أم كافرا أم ملحدا، أبيضا أم أسودا، عربيا أم أعجميا، **يستوي** فيها كل البشر كل بني آدم كل من يحقّ له كلمة إنسان. ففيه هذان الشيئان اللذان يتداخلان:
النفخة الروحية من فوق، **والطين** الأرضي المخلوق منه الجسد.

هذان الشيئان لماذا هما **متناقضان**؟

لأن حاجاتهم متناقضة، فهذا يجرّك للأرض والروح تجرّك إلى السماء.

يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

"إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة, ثم يكون علقةً مثل ذلك,

ثم يكون مضغةً مثل ذلك, ثم ينفخ فيه الروح"(أخرجه البخاري)،

الآن هذا التخليق الأَوّلي أربعون يومًا، ثم أربعون يومًا، ثم أربعون يومًا، كنت أنت مضغة، انظروا للحديث: "**ثم يُنفخ فيه الروح**" حتى وأنت بشر وأنت صغير إلى يومنا الآن وأنت مجرد قطعة، مضغة لحم، ولذلك قبل أن يُنفخ فيه الروح ليس له أحكام، فإن خرج فمن الممكن أن يُلفّ بشيء ويوضع في أي مكان، لكن بمجرد أن تُنفخ فيه الروح، فإنه يُدفن حتى لو كان شيء صغير جدًا يصلى عليه ويكرّم كأنه بني آدم كامل، مجرد تكريمٍ لهذه النفخة الروحانية التي دخلت فيه.

إذاً هذا **الجوف** الذي نتحدث عنه إذا لم يمتلئ يتعب الإنسان.

1-دعونا نأخذ الجوف الطيني: أنا لو لم أأكل ماذا **يحدث؟**

انظروا للناس في رمضان مثلًا قبل موعد الإفطار كيف تصبح أخلاق الرجال؟

كيف تصير السيارات في الخارج؟ وكيف هي أخلاق الناس في الدوامات؟ كل منهم يقول:

أنا أشرب قهوتي، أنا جائع، لم يبق إلا القليل وكل الأخلاق **تفسد**، وكل واحد يبرّر للثاني بأنه صائم، أنه لم يأكل، أنا جائع. أو تعالي انظري لأي إنسان جائع مثلًا ويقول لك:

تعالي ذاكري الآن!، لا أستطيع المذاكرة الآن أنا جائعة، فأنتِ لا تستطيعين أن تمارسي حياتك العادية لأن بك شيء أصلًا **غير مُمتلئ**، فلما يمتلئ ويأخذ حاجته -

ولا يعني الامتلاء الكامل- بمجرد الاكتفاء يقنع، فتستطيعين أن تمارسي أشياء أخرى،

الآن هذا الكلام نحن نأخذه عن الجوف الطيني، أنتِ مخلوقة من طين،

فبالتالي أنتِ مخلوقة من أرض، فبالتالي أكلك من الأرض نبات حيوان لحم،

أيًا كان هذه كلها أشياء موجودة على الأرض.

2-أما النفخة السماوية خُلقت من السماء فغذاؤها من وحي السماء،
ولذلك تعالي إلى هذا الإنسان الذي يريد أن يشبع نفسه، الآن أنا أريد أن آكل
وسأقول لكم الأمثلة على جوف الطين وأنتِ انزليها على الجوف الذي يحتاج إلى غذاء روحي،
الآن أنا أريد أن آكل، لكن ممكن أن آكل أكل صحي، وممكن أن آكل أكل فاسد، مثل ماذا الأكل
الفاسد، غير مفيد غير صحي؟ مشروبات غازية، تشربين بيبسي وتقولين أنا والله ما أشبع إلا فيه،
فيه 12 ملعقة سكر، في لحظة يفتّت العظام، يسبب هشاشة، هذا غير صحي لك،
مع ذلك أنتِ تشبعين لأن يعطيك

مثل النشوة، ماذا غيره؟ حلويات، الوجبات السريعة، كيف تم طهيها؟ الزيت الذي يوضع فيه
اللحم أصلًا هذا من أين جاء؟ وبماذا هو مطحون؟ ومن أي مفرمة؟ فكل الأشياء لو فكرتِ
فيها، مما تأباه نفسك لأنك أنتِ لا تأكلينه لكن مع ذلك يذهب الإنسان
ويأكل لمجرد أنه الآن جائع ويريد أن يأكل أي **شيء**.
ماذا لو كنت جائعة وما وجدت إلا أكل القطط؟ تأكلين؟ لو نفرض أنك أكلته لأي سبب
ماذا يحدث لك؟ أمرض، لماذا تمرض؟

لماذا **تمرض؟**
لأنه غير مناسب، البطن يصبح فيها تقلّصات
ويصير عندك مغص لأنك أكلتِ أكل غير مناسب لك، أنتم تربطون الكلام الذي أقوله بالكلام لما
أنتِ تريدين أن تغذّي الآن روحك، ما الذي يحصل؟

ولذلك لاحظوا ونحن نتكلم عن جسد، والموضوع بسيط
والقضية هي أكل وكلنا نعرف فيها أبسط المعلومات، لكن أنتِ فكري عندما تريدين أن تغذّي روحك

كيف تتغذى هذه الروح؟

لو غذيتيها بغذاء لا يناسبها سيصبح في الروح مغص، ستتألم وتجدين الروح تصرخ أن هذا ليس أكلي، ولو أنتِ أطعمتِ الروح بأكل فاسد، أنتِ مثلًا تعرفين الطريق من هنا روحك تحتاج هذا الشيء، فذهبتِ وأمتعتها بأي شيء آخر من الحرام، هي متعة لحظية مثل قنينة البيبسي لأنها **لحظة**.

إحدى قريباتي تشرب في اليوم مالا يقل عن ثمانية علب بيبسي،
لابد أن تشربها وممكن أن تصل إلى 12 علبة، الآن هي في منتصف الأربعين من عمرها وتعاني من هشاشة عظام كبيرة، كنا نقول لها: يا فلانة أتذكرين أيام البيبسي أنتِ أجرمتِ في **نفسك؟،**
فتقول: طيب أنا الآن تبت لي سبع سنوات قاطعت البيبسي. لكن هناك أشياء تظهر آثارها لاحقًا.
فالآن نحن نتكلم عن غذاء الروح لما أنتِ تطعمينها طعام فاسد من أجل نشوة وقتية، تصير عندك هذه التراكمات الآن في هذه الروح ويصير فيها جروح في داخل هذه الروح تحتاج إلى معالجات وأدوية كثيرة لكي ترجع إلى طبيعتها.

إذن من كرم الله -عز وجل- أن جعل فينا هذه القرصة من الألم، يجوع بطنك فتحسين بهذه القرصة من الألم، تجوع روحك فتشعرين بهذه القرصة من الألم، وتحسين بهذه الكآبة
وهذه الغمامة التي تأتي عليك، وهذه كلها رسائل من الله لك، أنك ما خلقت لأجل هذا،
ولا حُييت من أجل هذا، وأن اذهب وابحث أين **طريقك؟**
ولذلك تشعر الروح بهذا الألم.

كان يقول أحدهم:

"جزء من شعورك بالألم أن الله -عز وجل- خلقك بفطرة في داخلك هذه الفطرة أشبه ما يكون بوعاء يحتاج أن ينسكب فيه شيء، فإذا لم ينسكب فيه الشيء الصحيح لا يمكن أن يشعر أنه ممتلئ"

فالفطرة في داخل الإنسان، وإن كان ألمانيًا أم أمريكيًا وفي أي مكان،

لو عاش وما وضع فيه الشيء الصحيح، كأن يعيش في كنيسة كاثوليكية أو في نظام علماني، فإن فطرته من الداخل ليست ممتلئة، قد يكون عنده أصدقاء ويأكل الذي يريد وحياته مليئة بالملذات، لكن الوعاء الذي عنده من داخل روحه أي النفخة العلوية

لم تأخذ حاجتها ولذلك هو في قلق دائم،

ولو جاءه أي داعية، وقرأ عليه شيء من القرآن، أو حدّثه عن وحي السماء أو حدّثه عن الأنبياء أو عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن الله -عز وجل-ورحمته وخلقه إلى آخره تجده يتأثر بأبسط الألفاظ، ولذلك نحن نتخيّل أن الدعوة معقدة جدًا ولكن تجدين كثير من الناس

الذين يسلمون، إنما أسلموا لتأثرهم بكلامٍ قليل شرح الله قلوبهم به،

ثم قرأوا كتاب أو اثنين وقرروا الدخول في الإسلام.

مع أننا نتخيل أنه يحتاج إلى قناعة عالية لكي يغير حياته من الشرق إلى الغرب، لكن تجدين أنه أول ما وجد انبلاجة النور وإذا به يتغير ويسلم مباشرة، وقد يكون بروفيسور أو دكتور أو عنده أشياء كثيرة، ولكن تجدينه مباشرة سلّم لهذا الدين، لماذا؟

لأن الله عز وجل يقول في سورة النور، آية 35:

(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ)

هل فكرتِ يومًا ما المقصود **بنورٌ على نور؟**

قال المفسر: هو نور الوحي إذا تقابل مع نور الفطرة أشرق

قلب الإنسان. لذلك صاحبنا الذي قبل قليل نور الفطرة موجود
لكن مغميّة عليه فهو بمجرد أن التقى مع نور الوحي **(نورٌ على نور)** أشرق هذا
الإشراق الذي تحدّث الله -عز وجل- عنه في هذه الآية الكريمة،
ولذلك إذا أكملتِ في سورة النور ستلقين وراءها تأتي آية 40:
(أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ)
الآن هذه الأمواج من الظلام يقصد الله -عز وجل- هي الظلام الذي يخيّم على الروح،
ولذلك نور الفطرة موجود لكن فيه أمواج من الظلام مغشيةٌ فوق هذه الروح،
فتحتاج إلى مجاهدات حتى يخرج هذا النور.
فإذا كان هذا الأمر فماذا نحتاج إذًا؟ فطرة **سليمة** يقابلها وحي سماوي، أرأيتم هذه المعادلة البسيطة التي نشعر أنها بسيطة جدًا، فطرة سليمة موجودة في داخلك لو اتّجهت إلى وحي السماء فأنت إذًا (نورٌ على نور) ووجدت مبتغاك.

اعتراف الملاحدة:

د. سامي عامري ألف كتاب اسماه "براهين وجود الله"، وهذا الكتاب هو ردّ على الملاحدة وشبه الإلحاد وغيرها، تحدث عن واحد من أصول الكتاب وهو دليل الفطرة، ويمكن أن كل فصل ممتلئ بكتابات من الملحدين نفسهم أو اللّا قدريين -الذين لا يؤمنون بالقدر ولا باليوم الآخر ولا غيره- كلهم يتكلمون عن هذا الشيء الموجود في داخلك، و لكن لا يستطيعون أن يعبروا عنه، أحدهم قال الكلمة الآتية وهو شون هار: "لا يوجد شىء فى الدنيا من الممكن أن يطفئ حنين الإنسان، وأن يرسم هدفًا نهائيًا لطلباته، ويملأ البئر الذى لا قعر له فى داخله"،
هو يقول: هناك شيء موجود في الإنسان لكن لا أعرف ما هو، و لا يوجد شيء في الدنيا يستطيع أن يملأك من الداخل، فهو ملحد ومشهور وعنده مؤلفات ومع ذلك يقول هناك بداخلك شيء لا يمكن أن تملأه كل الأشياء الموجودة في الدنيا.
الآن خذي هذا الكلام خصوصًا عندما تعرفين أنك **عقليًا** لا يوجد شيء من الممكن أن تبرمجي نفسك عليه، كأن تقولي: أنا لا أريد الأكل في حياتي! أنا أستطيع أن أعيش من غير أكل، لو جاء إنسان وقال أنا أقدر على الامتناع عن الأكل في حياتي،

وأنا لن آكل، حسنًا **لا تأكل**، يوم يومين خمسة عشر ماذا يحدث فيه؟
يضعف يمرض يذبل، لأن هناك حاجات موجودة فيه من الداخل، القضية ليست قضية **عقلية**،
الآن هناك شيء حاجة فيك من الداخل إذا لم تشبعها **تمرض**،
لذلك لا يوجد إنسان يقول: **لا أحتاج إلى غذاء روحي،**

أنت إذا لم تغذّي روحك تمرض من الداخل وتموت وتصير ضعيفًا ومتهالكًا من الداخل، هناك أناس نراهم أصحاء ومبتسمين، وممكن نرى صحتهم من الخارج ليس فيهم شيء، لكنهم ضعفاء من الداخل متهالكين لأن الروح ضعيفة، لذلك لو عدنا للفيديو الذي اشتهر في الأسبوع الماضي الآن قرارات، لا تقدر أن تقرر مثلًا أنا رجلي الآن تؤلمني عندما أمشي عليها وثقلت علي، فأنا قررت أن أقطع رجلي! لا القرارات ليست هكذا. الشيء الذي تستثقله لا تستطيع أن تقول أنا والله ما انسجمت معه، رجلي تؤلمني لما أمشي عليها، تضايقني أنا لابد أقطع رجلي، حتى أمشي بسلام وسكينة! منذ متى المعالجات تصير بهذه الطريقة؟!! **لا يمكن!،**
ولذلك إذا ثقل عليك شيء من شرائع الله -عز وجل-لا يكون الحل بأن **تقطعه**!،

أحدهم يأتي ويقول: أنا والله أحس أني لا أحب الصلاة! أنت ما تحب الصلاة هي موعد بينك وبين ربك هي فريضة بينك وبين الله أنت إذا ما أحببتها ليس الحل أنك لا تصلي، الحل أنك تذهب **وتعالج** نفسك وتحاول ما العقد التي أدخلها الشيطان في داخلك لدرجة أنك تكره الصلاة، لابد أن تحل المشاكل التي بداخلك إلى أن تحب الصلاة، لكن لا يكون الحل أن تترك شرع الله -عز وجل-من أجل أن تنسجم مع ذاتك أو تنسجم مع نفسك، ليس كل شيء يثقل علينا نقطعه! ليس بهذه الطريقة تكون الحلول، لذلك هذا الملحد يقول" :لا شيء في الدنيا يطفئ هذا الحنين في داخل هذا الإنسان "انظروا لهذا ملحد وفي عصرنا هذا، ابن القيم -رحمه الله-قال هذا الكلام قبل ما يقارب 600 سنة وقالها بتعبير رقيق جدًا" :إن في القلب شعثٌ لا يلمّه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور به "هناك حزن دائم داخل القلب لو حاولت أن يفرح بالمخدرات الوقتية

كالخروج إلى القهوة أو نزهة أو زيارة، هذه أنا أسميها **مخدرات وقتية**،
أنتِ **تهربين** من شيء، حين ترجعين إلى البيت، تغلقين باب غرفتك عليك ترجع كل الأفكار مرة أخرى،
لأنك وقتٍّ نفسك خدرتها قليلًا، فيقول:

"وفيه وحشةٌ لا يزيلها إلا الأنس به والخلوة له وفيه حزنٌ لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وفيه قلقٌ لا يسكّنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه وفيه نيران حسرات لا يطفِئه إلا الرضا بأمره ونهيه وفيه طلبٌ شديد -يعني طوال الوقت أنتِ تريدين أكثر- لا يقف دونه إلا أن يكون مطلوبه هو الله"

فالإنسان يحس طوال الوقت أنه يريد من الدنيا، و لا تشبعه ولا يحس أنه يرتوي بشيء من الدنيا،
لأنه يرتوي بالخطأ، فما ينطفئ هذا الطلب إلا عندما يكون مطلوبة الأول هو الله -عز وجل-

"و فيه فاقةٌ لا يسدُّها إلا محبته ودوام ذكره"

انظروا لهذا التعبير الذي يتحدث عنه ابن القيم -رحمه الله-كيف الملحد الآن في الألفية
وهو يقول إن هناك شيء في الإنسان لا يطفئه شيء من الدنيا!

وقال ملحد آخر:

"ما هو الشيء الذي يعلنه هذا الحنين وهذا العجز غير أنه أكيد أنه كان في يومٍ مّا سعادةٌ حقيقية"
يقول ما هذا الشيء الموجود في الإنسان؟ لماذا هذا القلق الدائم؟ الآن هو عالم نفس ملحد
لا يؤمن أصلًا بشيء، فيقول أكيد هناك شيء منذ زمن، شيء حدث في عالم غيبي،
عاش في سعادة حقيقية، ثم يقول:

"فالإنسان يحاول عبثا أن يملأ هذا الفراغ بكل شيء، بأشياء ليست موجودة ولا تطفئ هذا الظمأ، وعن عون لم يستطع أن يجده في الأشياء الموجودة، فالهوة السحيقة التي بداخله لا يمكن أن تمتلئ إلا بشيءٍ لا نهائي وغير متقلب".

يضرب هذا الشيء في أذهانكم بماذا؟

ما الذي من الممكن أن يكون هذا **الشيء**؟

الشيء الذي هو هذا السحيق، الشيء الذي في داخله الأجوف
الذي قرأناه قبل قليل، يقول:
"فلا يمكن أن يمتلئ إلا بشيء لا نهائي وغير متقلب".
وبعبارة أخرى هو يتحدث عن الله -عز وجل-فهو الصمد الأحد هو الذي لم يلد ولم يولد فلا يتقلب وهو لا نهاية له، هو **الأول** فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء وهو الظاهر فليس فوقه شيء والباطن فليس دونه شيء. فهذا الملحد غير قادر على أن يعبّر عنه،
لكنه يعترف **باعتراف** كامل أن هناك شيء في داخل الإنسان
لا يمكن أن يملأه إلا شيء لا نهائي،

وهذا الشيء اللا نهائي لا يمكن أن يكون موجودًا في الدنيا، لأن كل الأشياء الموجودة في الدنيا لها **نهاية**، إذًا هو يحوم حول القول: لابد أن الإنسان يحتاج إلى ربه، أما سعادته الحقيقية التي كان يعيشها يومًا ما يعبّر عنها أيضًا ابن القيم -رحمه الله-حينما قال:
"فحيّ على جنات عدنٍ فإنها منازلك الأولى وفيها المخيمُ".

فنحن نعيش في الدنيا، لكن نحن نعرف أنها ليست مكاننا، وأنَّها دار ممر، وأن منازلنا الأولى هي الجنة، خرجنا منها وإليها نعود -بإذن الله-. **فالسعادة** الحقيقية نعرفها هناك، وكل الدنيا هي في كدر وفي نكد وفي عناء، ولا يُتوقع أنها ستصفو في يوم من الأيام،
لذا من الممكن أن نشقى في الدنيا، لعلمنا أن هناك آخرة، وهذا مما يسكّن على الإنسان، لكن الذي **لا يؤمن بوجود الله**
ولا يؤمن بجنة ولا بنار ولا يغذي روحه تضل روحه قلقةً بمثل هذا.
إذن الإنسان مخلوق من شيئين: **روح وجسد**.

الأول: الجسد مبدؤه من الطين، وغذاؤه شرابٌ وطعام، ومنتهاه إلى القبر وإلى الطين، فنحن من طين ثم نرجع إلى الطين، لا يوجد خيار آخر.

أحد أقاربي ذهب لأحد أصحابه في مصر للعزاء فدخل معه في مقابرهم،
المقابر في مصر عبارة عن غُرف في الداخل، وهو لأول مرة يرى هذا الشيء فكان متفاجئ،
يقول لي: أول ما دخلنا ما قبروه مثلنا، وضعوه على الرف، الغرفة من الداخل مثل الأرفف،
ويقول في كل رف هياكل عظمية باستدارتها، يقول سألته: من هؤلاء؟ فقال: هذه جدتي أم أبي وهذه أم أمي، ربما لأن التربة في مصر حجريَّة وليست ترابيَّة فلهم أحكام أخرى في الدفن، طبعا هم مكفّنين لكن يوضعون هكذا، لكن المنظر الذي رآه بعدما تحلّلت وتحلّل القماش والمتبقي العظام، ويقول: هذه العظام إذا تحللت تمامًا يأخذون هذا المكان ويضعون فوقه عظام ثانية، ففي النهاية إلى أين؟
إلى طين وتراب يرجع إلى تراب، وهذا الجزء الأول.

والثاني: الروح، مبدؤها من السماء، فهي نفخة نورانية (فنفخنا فيه من روحنا)، وغذاؤها: من وحي السماء، الله خلقها من فوق فغذاؤها من فوق،

مهما حاولت أن تغذي روحك من أي شيء من تحت ستبقى الروح جائعة هالكة
تصرخ تئن توجعك تنغز من الداخل إلى أن تشبعها، **ومنتهاها**: إلى السماء،
فلذلك لو تذكرون حديث براء بن عازب الطويل الذي أخذناه في درس كامل عن حينما يموت الإنسان إلى أين تصعد **روحه**؟ إذا كان مؤمن كيف تتحول أخذة الروح إلى عرس سماوي، الملائكة تأخذها وترقّها من سماء إلى سماء،
وأما الفاجر فغير ذلك،

ولذلك جرّب بنفسك أذان الفجر الآن **متى**؟

تقريبًا 4:15 لو التفتَّ لحاجة الجسد فستقول كل ما نمت أكثر كان أفضل لك لتقوم نشيطًا، لكن لابد أن نوازن بين اثنين لنصل لحياة سليمة، فلو وقّت الساعة على 3:15 وجربت أن تذهب وتتوضأ وتصلي ركعتين قبل صلاة الفجر، عندما تقوم ألف خاطر سيطرأ عليك، لماذا أنا قائم؟ طيب أنا لست مطوع!، لو قمت الآن لن أقوم مرة ثانية...

وتدخل في نقاش طويل عريض، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان** «(اخرجه البخاري)،

قول النبي -صلى الله عليه وسلم-على هذه المجاهدة التي يجاهدها الإنسان

" :أن الشيطان يضرب على ناصية أحدكم ثلاث عقد -فكل ما جاء الإنسان يقوم- الشيطان يقول له أمامك ليل طويل فارقد فيرقد ثم يرن المنبه بعد 10 دقائق فيقول الشيطان أمامك ليل طويل فارقد، فتغلقين المنبه، إلى أن تذهب عليك صلاة الفجر، طيب لو أنك جاهدتِ وقلتِ سأقوم من السرير وقمتِ **انحلّت عقدة** لكن للآن عيناك مغلقة، وتقومين إلى الحمام،

وتتسائلين لماذا أنا أقوم بهذا الشيء؟

وتتذمرين في داخلك، طيب لو نمت أنا الآن، طيب لو نمت ثم قمت، سأستلقي على الكنبة قليلًا، وتدخلين في نقاش، ثم ذهبتِ للحمام توضّأتِ، أول ما تضعين الماء على وجهك، وتتمضمضين تنحلّ **العقدة الثانية** فصارت نفسك الآن أخف وصار الشيطان أضعف، بقي **عقدة واحدة** فقد انحلّت عقدتين فصار جانبك الآن أقوى، فتشعرين أنك قليلًا تنشّطتِ، ومتى ما توضأتِ يخف صوت التذمر الذي قبل قليل، تأتين الآن وتصلين، أول ما تكبرين

تنحل **العقدة الثالثة** -فانحلّت عقده كلها ."الشاهد: نهاية الحديث يقول

" :**فإذا أصبح أصبحَ نشيطًا طيّبَ النفسِ"**

فيقوم الصباح وهو نشيط طيب النفس، قال

" :وأما الآخر فيصبح خبيث النفس كسلان ,"هذا الثاني الذي نام نومة جيدة في عُرفه هو، حتى الفجر ما قامه، ما قام إلا على الدوام 6:45 فصلى الفجر بعد ما طلعت الشمس وذهبت وخرج وقتها أصلًا، صلّى ثم ذهبت للدوام، يذهب وهو خبيث النفس كسلانًا كاره كل شيء نفسه خبيثة،

هل لاحظتم عندما يتوازن غذاء الروح مع غذاء الجسد،

كيف يصبح نشيطًا وطيّب النفس. ولما تتغذى الجسد على حساب الروح كيف تصير النفس خبيثة وكسلانة، الشيء الذي كان يريده من النوم لم يتحقق له، فهو ما نام إلَّا لزيادة النشاط، ازداد كسلا وخمولا، فالقضية ليست كما تحسبها أنت.

مسجد (كأني أكلت):

كان أحدهم يقول

" :جرّب أن تتصدق من مالك من غير أن يراك أحد،

في ظلام ليل أو غيره وانظر إلى سعادتها فيك أنت"،

وقد تذكرون مسجد كأني أكلت أخذناه سابقًا، وهو مسجد مشهور الآن في تركيا،

وهذا المسجد بُني بقصة: أن الذي بناه كان إنسانًا فقيرا يتمنّى أنه يبني مسجدًا،

ولا يملك مالًا، فكان يفعل شيئا بسيطًا، كلَّما أراد أن يأكل أو يشتري نوعًا من الفاكهة أو من اللذائذ يقوم بوضع مبلغها في صندوق عنده، ويقول لنفسه: كأني أكلت، فيمنع نفسه منها ويكتفي بالقليل الذي عنده ويأخذ مبلغها ويضعها بهذا الصندوق ويقول كأني أكلت،

إلى أن اجتمع عنده مبلغ، وبالفعل بدأ يبني المسجد، ثم مات قبل تمامه،

وأكمل أهل الحي ما بقي منه، فأجر هذا المسجد له هو،

"ومن بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتًا في الجنة"

أخرجه ابن حبان، قال الألباني: صحيح.

مع أنه ماذا كان يفعل؟

كان يمنع نفسه من أن تشتري شيئا تحبه له لذة وله متعة،

فتخيلي أنك ما أخذت الشيء الذي تشتهينه، ووضعتِ ماله في صندوق،

لا لتصرفين المال في شيء آخر، بل وضعتها في صندوق أو في مكان وقلتِ كأني أكلت، هذه الحركة البسيطة عندما تطبقينها ستجدين سعادتها في نفسك، وجمال الإحساس أنك تخبئينها لشيء لله أكبر بكثير من جمال هذه القهوة التي شربتها فقط وذهبت، ويمكن أنك ما شربتِ إلا ربعها وذهبت، إذًا خذيها بحسبة بسيطة، أنا عندما مررت بهذه القصة جلست أحسب هكذا، دعونا مثلًا نقول بكم القهوة؟

بـ 15 ريال أو 18 ريال، ولو كانت هذه لا تشرب القهوة إلا أربع مرات في الأسبوع فقط، نقول تقريبا 100 ريال في الأسبوع في 48 = 4800 ريال وهذه ثمن القهوة فقط!، لو كانت هذه تشرب ثلاث مرات في الأسبوع، وتأكل من مطعم أو غيره بـ 100 ريال فقط تطلب، أو أنها تذهب إلى مطعم كم هذه؟ 300 ريال، 300 في 48 أسبوع = 14400 ريال تقريبًا، نحن نتكلم الآن عن 20 ألف تقريبًا فقط ذهبت على قهوة وبراوني وكوكيز! فهذا الرجل ماذا كان يفعل؟

يقول كأني أكلت ويضع هذا المال في الصندوق، كأنها انصرفت لكنها انصرفت **لله**، وهذا العمل مما يغذي الروح بعمل صالح، فتصير سعادة الروح مختلفة، ولذلك انظري لليوم الذي يمر عليك وأنتِ تأكلين وتشربين وما فعلتِ شيء إلا أنك متعتِ **جسدك**!، كيف تشعرين في نهاية اليوم؟ تشعرين أنك ما فعلتِ شيء وتحسين بهذا القلق الذي من الداخل تتسائلين كيف ذهب اليوم؟!

أنا لم أفعل شيئا **مفيدا**! في المقابل يوم آخر قد تكونين لم تأكلي أو تشربي، وجدولك مزدحم من أوّله إلى آخره، لكن حققتِ فيه خدمة لأحد، سعيتِ في حاجة أحد، أنجزتِ معروف لأحد أو أهديتِ أحد شيء، انظري لذلك اليوم ترجعين وأنتِ تشعرين بإنجاز

يا رب لك الحمد اليوم أشعر أني سعيدة،

أنتِ سعيدة رغم أنك ما أكلتِ ولا شربتِ، لكن لأنك أنجزتِ شيئا، ولذلك الروح لما تنجز وتتغذى تصير حاجات الجسد لا شيء، مشكلتنا أننا نغذي الجسد ونترك الروح في الداخل **جائعة**.

ورِدك من القرآن:

قال عبد الله بن سعيد في حديثه: أوس بن حذيفة -قال: قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد ثقيف، قال: فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة،

وأنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بني مالك في قبة له -قال مسدد:

وكان في الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثقيف -قال: كان كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا، -وقال أبو سعيد: قائما على رجليه حتى يراوح بين رجليه من طول القيام -وأكثر ما يحدثنا ما لقي من قومه من قريش،

ثم يقول: **«لا سواء كنا مستضعفين مستذلين»،**

-قال مسدد بمكة -، فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم، ندال عليهم ويدالون علينا، فلما كانت ليلة أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه، فقلنا لقد أبطأت عنا الليلة،

قال: **«إنه طرأ علي جزئي من القرآن، فكرهت أن أجيء حتى أتمه»،**

قال أوس: سألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحزبون القرآن،

قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده "

(أخرجه أبو داود، قال الألباني: ضعيف.)

ماذا كان يقصد النبي بحزبه من **القرآن**؟ ومن **الثلاث**؟ البقرة وآل عمران والنساء، ثم **الخمسة** التي بعدها، ثم **السبعة** التي بعدها، سترين كأنهم يمشون خمسة أجزاء وهكذا، ولذلك ثلاثة خمسة سبعة إحدى عشر ثلاثة عشر مع المفصل، فكان المتعارف عليه أنهم ينهون ختم القرآن في أسبوع، فما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقضي يومًا قبل أن ينهي حزبه من القرآن، وحزبه لم يكن آخر ما يفعله، كأن يقضيه قبل أن ينام أو يتركه لشغلٍ ونحوه، بل كان أول شيء يبدأ فيه، لذلك دائمًا كانوا ينصحون ابدأ أولًا بوردك من القرآن وثني بأمورك من الدنيا،

لكن لا تترك وردك من القرآن!

هل فكرتِ يومًا لماذا سموه **وردًا**؟ ما معنى **الورد**؟

سمّوا الورد القرآني بالورد -وهي من فصاحة العرب-لأنها مثل ورود الماء، مثلما تكون روحك ظمآنة فترد على شيء فتروي روحك، فأنت كذلك حينما تروي ظمأك من القرآن،
لذلك النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي أُنزل عليه القرآن وهو إمام خير الناس ومع ذلك كان يروي ظمأه بهذا القرآن، طبعًا هذا بقلبه هو، فكيف بقلوبنا؟
الغائرة في الحيرة وفي التيه بقدر ماذا نحتاج إلى أن نرويها بالقرآن؟ هذا أمرٌ آخر،
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
"مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحيّ والميت"(أخرجه البخاري)
فمثل الذي يذكر ربه فيغذيه ومثل الذي لا يذكر ربه فلا يغذيه مثل الحي والميت، لذلك نرى أناس هم أحياء لكنهم أموات من الداخل، الروح هلكت إلى أن ماتت، فلم يبق فيهم إلا الجسد الطيني، أحلامهم طينية، أفكارهم طينية، آمالهم طينية، أقصى شيء ينافسون عليه هو طين الأرض، لكن هل عندهم أي حلم سماوي؟ أو أي آمال للآخرة؟ **لا**!

أذب قسوة قلبك:

جاء رجل إلى الحسن فقال له: يا أبا سعيد أشكو إليك قسوةً في قلبي، فقال له: أذبها بذكر الله.
فإذن إذا كان شيء فيك قاسٍ فعالجه **بغذاء الروح**، لذلك ذكر الله -عز وجل-من غذاء الروح.
يقول ابن تيمية: **"الذكر للقلبِ مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟"**
أرأيتم السمك إذا خرج من الماء كيف هو قلق يحتاج أن يرجع إليه؟
وكذلك القلب لذكر الله، وحي السماء كيف تحتاجها الروح. فالنَّفس قد تكون ساكنةً ثابتةً لكن الروح قلقة من الداخل تبحث عن رحمة الله وعن شرعه.

ختامًا:

آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان، وأبي الدرداء،

فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟

قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما،

فقال: كل؟ قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

«صدق سلمان».(اخرجه البخاري)،

الآن هذه الكلمة **"إن لنفسك عليك حقًا"**

نحفظها مثل أسمائنا، فنأكل كما نريد وننام إلى ما نريد

ونقول "**إن لنفسك عليك حقًا**" وننسى الشطر الأول **"إن لربك عليك حقًا"**

فلنحاول أن نوازن وهذه وظيفتنا في الحياة. فلا نجعل "إن لنفسك عليك حقًا" هي الشيء الوحيد،

نحن لا نحتاج توصيةً على أنفسنا لأنها تأخذ حقها بالطول والعرض!،

بل نحتاج توصيةً على "إن لربك عليك حقًا" فأين حق الله في **حياتنا**؟ أين غذاء الروح الذي نفعله؟

ظمأ **الروح** بماذا نرويه؟ وحي السماء كيف تُدخله؟

فإذا كان الفم هو المكان الذي يتغذى منه الجوف الطيني،

فالجوف الذي تتغذى منه الروح من خلال السمع والبصر، فماذا نرى؟

وماذا نسمع؟

حتى نغذي أرواحنا.

هذا كله فقط حتى نجيب على السؤال: ما الذي يجعل الروح **تكتئب**؟

والجواب بكل اختصار هو حينما لا تمتلئ بوحي السماء،

ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال لشداد بن أوس:

" إذا كنز الناس الذهب والفضة، فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وأسألك حسن عبادتك، وأسألك قلبا سليما، وأسألك لسانا صادقا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب"

(أخرجه أحمد، حسن لغيره)

إذن هذه الكلمات كان النبي عليه الصلاة والسلام يوصي فيها شداد بن أوس

إذا الناس تنافست على الطين

فاجعل أنت **روحك سماوية.**

اسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن غفر لهم وممن عفا عنهم

وممن زيّن أرواحهم بنور السماء،

والحمد لله رب العالمين.